المستخلص العربي:

تهدف الدراسة إلى الإجابة عن إشكالية مهمة عن دور الخطب والمراسلات في القضاء، على حركة الردة في منطقة البحرين خلال عهد الصديق رضي الله عنه، فالشائع بين المؤرخين أن منهج الصديق وأعداؤه في تعاطي أحداث هذه الفتنة كان منهجاً عسكرياً وأنه اقتصر فقط على القتال، غير أن هذا البحث يطرق باباً جديداً من المفاوضات الدبلوماسية من خلال الحطب والمراسلات ويوضح دور هذه الدبلوماسية في إنهاء هذه الفتنة جنباً إلى جنب مع التحركات العسكرية.

الكلمات المفتاحية : الخطب – المراسلات – الردة – البحرين – خلافة أبي بكر الصديق

Abstract

The mission of the study is to answer an important problem about the role of speeches and correspondence in eliminating the apostasy movement in the Bahrain region during the era of Al-Siddiq, may God be pleased with him It is common among historians that Al-Siddiq's approach to eliminating this strife was a military approach and that he was limited only to fighting. However, this research knocks on a new door of diplomatic negotiations through firewood and correspondence and clarifies the role of this diplomacy in ending this strife side by side with military movements.

Keywords: speeches - correspondence - apostasy - Bahrain - the caliphate of Abu Bakr Al-Siddiq

المقدمة :

لما توفي النبيُّ صلى الله عليه وسلم ارتدت بعض القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية، ومن بين هذه القبائل قبيلتي ربيعة وبكر بن وائل[1] والتي كانت تقطن شرق الجزيرة العربية وبالتحديد في منطقة البحرين، فكان التعامل مع هذا الظرف الحرج من قبل الخليفة أبي بكر الصديق حازماً في القضاء على هذه الفتنة بكل السبل العسكرية والسياسية، وفي خضمّ هذه الأحداث ألقيت خطبٌ وكُتبت رسائلُ كان لها أثرٌ كبيرٌ في اشعال هذه الفتنة وسحقها، وعليه كان التركيز منصباً على دراسة هذه الخطب والرسائل لما لها من أهمية بالغة في تغيير مجرى الحياة الإجتماعية والسياسية في المنطقة.

أهمية البحث:

١. أهمية البحث عن نصوص الوثائق التاريخية والوقوف عليها ومعرفة دورها في البحث التاريخي.

٢. تسهم هذه الدراسةُ في إبراز دور الخطب والمراسلات في القضاء على فتنة الردة في منطقة البحرين.

٣. اعتمادُ هذه الخطب والمراسلات ودراستُها يعطي للقارئ تصوراً واضحاً ومتسلسلا للأحداث التاريخية في هذه المنطقة.

أهداف البحث:

التعرف على الخطبِ التي أُلقيت والمراسلاتِ التي كُتبت في هذه الفترة الزمنية المعينة وفي هذه الظروف التاريخية المحددة.

جمعُ هذه الخطب ودراستُها دراسةً تاريخية.

التعرف على الأحداث العسكرية التي جرت في هذه المنطقة زمن الردّة.

---

[1]) ابن سعد: محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: احسان عباس، ط١، دار الصادر، ١٩٦٨، ج٤، ص٣٦١.

أولاً: أسباب ارتداد أهل البحرين:

إنّ ارتدادَ كثيرٍ من القبائل في شبه الجزيرة العربية راجع في الجملة لعدة أسبابٍ رئيسية منها: دينية وسياسية واجتماعية، وما يهمنا هنا هو الكشف عن السبب الحقيقي لارتداد أهل البحرين، ولا يجد المؤرخ ما يفسّرُ به ذلك أفضلَ من دراسته للوثائق التاريخية والتي من ضمنها الخطب والرسائل والتي هي محور هذه الدراسة.

لما توفي النبيُّ صلى الله عليه وسلم ووصلَ خبرُ وفاته إلى كسرى صاحب المدائن[١] فقام خطيباً في قومه فقال:

من يكفيني أمر العرب؟ فقد مات صاحبهم، وهم الآن يختلفون بينهم إلا أن يريد الله بقاء ملكهم فيجتمعوا على أفضلهم، فإنهم إن فعلوا صلح أمرهم، وبقى ملكهم، وأخرجوا العجم من أرضهم، قالوا: نحن بذلك على أكمل الرجال، قال: من؟ قالوا: مخارق بن النعمان[٢]، ليس فى الناس مثله، وهو من أهل بيت قد دوخوا العرب ودانت لهم، وهؤلاء جيرانك بكر بن وائل، فأرسل منهم ناسا مع مخارق، فأرسل معه ستمائة من بكر بن وائل، الأشرف فالأشرف، وارتد أهل هجر عن الإسلام[٣].

هذا النصُّ التاريخيّ فيه بيانُ شدّةِ تتبع الدولة الفارسية للأحداث التي كان يمرّ بها المسلمون في المدينة بدءً بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم استخلاف أبي بكر الصديق رضي الله عنه من بعده، فكانت الأخبار تصلُ إليها تباعا، وقد استغل صاحبُ المدائن هذه الأحداث بأن طمِع في استعادة منطقةِ البحرين التي كانت تحت

---

[١]) الذي يظهر من خلال السياق التاريخي أنه يزدجرد بن شهريار. الدينوري: عبد الله بن قتيبة، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢، الهيئة المصرية للكتاب، ص٦٦٦.

[٢]) المنذر بن النعمان بن المنذر وهو الذي تسميه العرب بالغرور. الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٢١٣.

[٣]) سليمان بن موسى الحميري، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والثلاثة الخلفاء، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ، ج٢، ص١٤٨. محمد عبد الوهاب، مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ط١، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، المملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ، ٢٨٨.

حكمه فيما سبقَ بأن عيّن قائداً لاستعادتها حيثُ انضمت إليه كثيرٌ من القبائل العربية منها قبيلة بكر بن وائل وربيعة[١] وبهذا ارتدّ كثيرٌ من الناس في هذه المنطقة والدافع لهم للارتداد أمران رئيسيان ذُكرا في هذه الخطبة وهما:

١- موتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم مما جعل الكثير يتأثر بذلك.

٢- تعيين قائد موالٍ للدولة الفارسية من أجل السيطرة على المنطقة وتكون تحت حكم الدولةِ الفارسية، مما جعل كثيرا من القبائل ترتمي تحت حضنهم[٢].

وفي المقابل نجد من يدعوا أهلَ هذه المنطقة للثبات على الإسلام وذلك أنّ الجارود[٣] قام في قومه خطيباً فقال:

يا قوم، ألستم تعلمون ما كنتُ عليه من النصرانية، وإنى لم آتكم قط إلا بخير، وإن الله تعالى بعث نبيه فنعى له نفسه وأنفسكم؟ فقال: (إنك ميت وإنهم ميتون)[٤]

وقال: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا)[٥].

وفى حديث آخر، أنه قام فيهم، فقال: ما شهادتكم أيها الناس على موسى؟ قالوا: نشهد أنه رسول الله، قال: فما شهادتكم على عيسى؟ قالوا: نشهد أنه رسول الله، قال:

وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، عاش كما عاشوا، ومات كما ماتوا، وأتحمل شهادة من أبى أن يشهد على ذلك، فلم يرتد من عبد القيس أحد.

---

[١] الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٣٠٣.

[٢] الياس شوفاني: حروب الردة دراسة نقدية في المصادر، ط١، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ١٩٩٥م، ص١١٧.

[٣] بشر بن عمرو بن حنش من عبد القيس، ويكنى أبا المنذر، وكان شريفا في الجاهلية، وكان نصرانياً، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم، قتل شهيدا يوم سهرك سنة عشرين. ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص٨٦.

[٤] سورة الزمر الآية: ٣٠

[٥] سورة آل عمران:الآية: ١٤٤

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال حين وفدوا عليه: «عبد القيس خير أهل المشرق، اللهم اغفر لعبد القيس ثلاثا، وبارك لهم فى ثمارهم» ، فخرجوا مسرورين بدعوته وأهدوا له من طرائف ثمارهم، وثبتوا على الإسلام حين الردة.

في هذا النص التاريخي بيَّن الجارودُ لقومه أنّ محمداً صلى الله عليه وسلم نبيٌّ مثل الأنبياء من قبله عاشوا مدةَ رسالتهم ثم ماتوا واستدل بآيات الله الدالة على ذلك، وأشهَدَهم أنه مؤمنٌ بالله وبرسوله عليه أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم وهم بدورهم تأثروا بدعوته لهم فثبتوا على الإسلام ولم ينساقوا وراء المرتدين.

هنا يظهر جليّا تأثر القبائل بزعمائها، فهذا المنذر بن النعمان يؤثّرُ في جملةٍ من قبائل ربيعةَ وبكرِ بن وائل فيرتدوا، وهذا الجارود بن المعلى يؤثّر في جملة من قبائل عبد القيس فيُثبّتهم على الإسلام، ولله الأمرُ من قبلُ ومن بعد.

وعلى هذا النحو نشأ فريقان متصارعان؛ جيش المسلمين وتمثّله قبيلة عبد القيس بقيادة الجارود بن المعلى، وجيش المرتدين ويمثله جملة من ارتد من قبيلتي ربيعةَ وبكر بن وائل بقيادة المنذر بن النعمان، إلاّ أنّ تفوّقَ جيشِ المنذر بن النعمان ظاهرٌ وذلك من خلال الدعم العسكري الذي أرسله كسرى للسيطرة على المنطقة.

ثانياً: استنجاد أهل جواثا بالخليفة أبي بكر الصديق.

لما أدرك المسلمون صعوبةَ الموقف اتجاه عدوّهم وذلك لمّا حاصروهم في جواثا[١] طلبوا النجدّة من الخليفةِ أبي بكر الصديق وكان طلبُ النجدة عبارةً عن أبياتٍ أُرسلت إلى الخليفةِ حيث قال قائلهم[٢]:

---

[١] جُواثاء: بالضم وبين الألفين ثاء، يُمد ويُقصر، حصنٌ لعبد القيس بالبحرين، وجواثا أول موضعٍ جمعت فيه الجمعة بعد المدينة، ويقال: ارتدت العرب كلها إلاّ أهل جواثا. الحموي: ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ط٢، دار الصادر، بيوت، ١٩٩٥، ج٢، ص١٧٤.

[٢] يقال له: عبد الله بن حذق العامري، ذكره وثيمة في من ثبت على إسلامه زمن الردة، ونسبه ابن الكلبي إلى بني عامر عبد الله بن حذق بن عبد الله بن عوف بن شداد بن ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب، ووُصف بأنه شاعر. ابن حجر: أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد وعلي معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، ج٥، ص٦٥.

ألا أبلغ أبا بكر رسولا ... وفتيان المدينة أجمعينا
فهل لكم إلى قوم كرام ... قعود في جواثى محصرينا!
كأن دماءهم في كل فج ... شعاع الشمس يغشى الناظرينا
توكلنا على الرحمن إنا ... وجدنا الصبر للمتوكلينا[1]

تاريخُ رسالةِ هذه الأبيات إلى الخليفةِ أبي بكر الصديق جاء بعد محاصرةِ المرتدين للمسلمين في حصن جواثا، حيث كشفت عن الوضع الذي يعيشه هؤلاء المسلمون تحت حصار جند المرتدين من التضييق عليهم ومَنعِهم من الأقوات حتى جاعوا جوعاً عظيما[2]، والذي يظهر من خلال البيت الثالث بأنه حدث صراعٌ بين الطائفتين حتى خلّفت جراحاتٍ في صفوف المسلمين.

فطلبوا النجدة من الخليفة أبي بكر الصديق، فلما وصل للخليفة خبرُهم لم يتردد في إرسال مددٍ لهم فجهّز العلاءَ بن الحضرمي بقوة عسكرية، وفي أثناءِ خروجه كتب إليه الخليفة كتابا:

أن يَنفِر معه كلّ مَن مرّ به من المسلمين إلى عدوّهم[3].

في هذه الرسالة الموجهة إلى العلاء بن الحضرمي يلمسُ القارئ حرصَ الخليفةِ أبي بكر في استنجاد أهل جواثا المحاصرين، وذلك بتكليف قائد الجيش بتجميع واستنفار عددٍ غيرِ محصورٍ من المقاتلين المسلمين أثناء مسيره إلى منطقةِ البحرين للقتال معه ضد المرتدين.

وكان ممن انضمّ إليه أثناءَ مسيره ثمامةُ بنُ أثال رضي الله عنه ومن معه من مسلمي اليمامة[4]

---

[1]) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٣٠٤.

[2]) ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله التركي، ط١، دار هجر للطباعة والنشر، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج٩، ص٤٧٦.

[3]) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٤، ص٣٦١.

[4]) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٣٠٤.

ثالثاً: أوضاع الحرب في البحرين.

لما وصل المددُ بقيادةِ العلاء بن الحضرمي إلى المنطقة خندق فيها وأرسلَ إلى الجارود بن المعلى أن ينزل بمن معه حتى يوافيه عند المنطقةِ المتمركز فيها، كتب إليه الجارود بن المعلى رسالةً يصفُ فيها عدوّهم جاء فيها:

إنّ بيني وبينك أسودُ النهار وضباعُ الليل[١].

وفي رواية للواقدي: أنّ رسالةً وصلت للقائد العلاء بن الحضرمي جاء فيها:

أنّ القوم ليس لهم إلّا البَيات.

وضمّنها بأبياتٍ فيها:

قل للعلاء ليفهم ما كتبت له ... مني إليك وخير الرأي ما حضرا

إن العدو الذي أشجاك منزله ... مثل الأساود والحي الذي نظرا

أسد النهار ضباع الليل ليس لهم ... إلا البيات بما لا قل أو كثرا

هذا الذي لا أرى إلا عزيمته ... والأمر لله يعطي النصر من صبرا

كم يوم سوء من الأيام منعصف ... لسنا نرى فيه لا شمسا ولا قمرا[٢]

في هذه الرسالة يصف له فيها جيشَ العدو بأنهم أهلُ شراسةٍ في القتال أثناءَ النهار، وفي الليل جبناء مثل الضباع، وهذا ما استفاذه العلاء من هذه الرسالةِ وعمِل بها حيث أرسل أحدَ أفرادِهِ ليلا يأتيه بخبر القوم، فوجدهم سكارى فقام المسلمون بالإغارة عليهم وهم على تلك الحالة فهزموهم أشدّ هزيمة.

---

[١]) ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ج٤، ص٨٤.

[٢]) الواقدي: محمد بن عمر، الردة، تحقيق: يحيى الجبوري، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ص١٥٩.

رابعاً: إرسال بشارة النصر إلى الخليفةِ أبي بكر الصديق.

لمّا تمت هزيمة جيش المرتدين وقتلِ قائدهم الحطم بن ضبيعة، أرسل القائدُ العلاء بن الحضرمي رسالةَ بشارةٍ إلى الخليفة الصديق يخبره فيها بما أنزله بجيش المرتدين من هزيمة وقتلِ قائدهم جاء فيها:

أما بعد، فإن الله تبارك اسمه سلبَ عدوَّنا عقولَهم، وأذهب ريحَهم بشرابٍ أصابوه من النهار، فاقتحمنا عليهم خندقهم، فوجدناهم سكارى، فقتلناهم إلاّ الشّريد، وقد قتل اللهُ الحطَم[1].

لما وصلت الرسالةُ للخليفة حمد الله تعالى، لكن وعيُه السياسي لم يتوقف عند هذا الحدّ بل أمر قائدَ الجيش العلاءَ بن الحضرمي بتتبع الشريد ومن لايزال على الردّة بقوله:

أما بعد، فإنْ بلغك عن بني شيبان بن ثعلبة تمام على ما بلغك، وخاض فيه المرجفون، فابعث إليهم جندا فأوطئهم وشرد بهم من خلفهم فلم يجتمعوا، ولم يصر ذلك من أرجافهم إلى شيء[2].

رسالةُ الخليفةِ فيها بعدٌ سياسيٌّ وعسكريّ كبير وذلك أنّ تتبع الفارين ومن على شاكلتهم لا يتيحُ لهم الفرصة للتجميع والتكتل مرةً أخرى، فيحدِثوا مشكلات أخرى تستنزف طاقةَ المسلمين ووقتَهم، فيريد الخليفةُ حسمَ الأمر بسرعةٍ فائقة وينتهي من مشاكلهم.

لمّا وصلت رسالةُ الخليفةِ الصديق إلى العلاء أخذ بتوجيهات الخليفة فكتب إلى من ثبت على إسلامه من بكربن وائل:

يأمرهم بالقعود للمنهزمين والمرتدين بكل طريق ففعلوا[3] .

وبقي العلاء في معسكره حتى وافته الرسل بما أمرَ به من تتبع المنهزمين، فأيقن أنّ الأمر أصبح تحت سيطرتهم وأنه لن يؤتى بشيءٍ يكرهه من قبل أهلِ البحرين.

---

[1]) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٣١٣.

[2]) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٣١٣.

[3]) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر تدمري، ط١، دار الكتاب العربي بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج٢، ص٢٢٤.

الخاتمة:

وفي الأخير ما يسع الباحث إلا أن يختم بحثه بأهم النتائج الواردة في هذا البحث ومنها .

أهمية الوثائق التاريخية في فهم مجرى الأحداث السياسية وهو ما صورته لنا هذه الخطب والمراسلات في فهم أحداث الردة في البحرين من بدايتها إلى نهايتها.

دور الخطب التي ألقاها الزعماء والقادة في التأثير على المجتمع في تلك المنطقة.

دور المراسلات في حسم والقضاء على فتنة المرتدين في منطقة البحرين، من خلال إرسال البعوث، وإعطاء التوجيهات العسكرية.

قائمة المصادر والمراجع:

١- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر تدمري، ط١، دار الكتاب العربي بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
٢- ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، ٤١٢هـ/١٩٩١م.
٣- ابن حجر: أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد وعلي معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
٤- ابن سعد: محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: احسان عباس، ط١، دار الصادر، ١٩٦٨.
٥- ابن كثير: اسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله التركي، ط١، دار هجر للطباعة والنشر، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٦- الحموي: ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ط٢، دار الصادر، بيوت، ١٩٩٥.
٧- الدينوري: عبد الله بن قتيبة، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢، الهيئة المصرية للكتاب.
٨- الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.
٩- الواقدي: محمد بن عمر، الردة، تحقيق: يحيى الجبوري، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
١٠- سليمان بن موسى الحميري، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والثلاثة الخلفاء، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ.
١١- محمد عبد الوهاب، مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ط١، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، المملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ.
١٢- الياس شوفاني: حروب الردة دراسة نقدية في المصادر، ط١، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ١٩٩٥م.